مصطفى كمال

يؤمن بالبلشفية وينتظر المدد من روسيا

مذكرات رضا نور



الحلقة الرابعة عشرة

يتجه مصطفى كمال في هذه الفترة الى محاولة الحصول على ما يمكن الحصول عليه من روسيا البلشفية. يعقد آمالا كبيرة على البلشفيين في روسيا. يحاول التباحث معهم. يرسل الرجال من عنده اليهم. كان يظن أن البلشفية والشوعية شيئان عظيمان للغاية. وكان يرى أن تركيا ينبغي أن تحيا بهذا النظام. كان يرى أنه لا بد من الاتحاد مع الروس. كان يتصور انه بالتعاون مع الروس سيرسلون اليه نجدة وعونا. يرسلون اليه جيشا من الأتراك والتتار الموجودين في نطاق روسيا يسميه الجيش الأخضر. وانتشرت هذه الفكرة في كل مكان. كل الناس كانوا مندهشين من هذا الأمر (اذ أن العداء تاريخي مستحكم بين الأتراك والروس طوال كل العصور).

سافر بعض أشخاص من أرضروم وطرابزون (في تركيا) الى مؤتمر كان منعقدا في (مدينة) باكو (في روسيا). ذهبوا الى هذا المؤتمر، والأمل يحدوهم في أنهم سيحصلون على معونات من الروس!

كما أن واحدا يدعى الدكتور فؤاد الارضرومي ذهب الى روسيا واصبح بلشفيا شيوعيا. ثم عاد الى ارضروم بعد اتفاقه مع الروس على ذلك: يقلب تركيا الى بلد بلشفي يصبح هو رئيسه. كذلك شخص يدعى بهاء سعيد. أصبح بلشفيا في روسيا ثم عاد. ثم أودع السجن في الجبهة الشرقية من تركيا (المقابلة لروسيا). لكنه انقلب معاديا للبلشفية. ولم يكن يبدو في شكله سمة من سمات النظام. هكذا حال الذين يعودون من روسيا. مطلوب منهم اقامة اتصالات وتحويل منطقتنا الشرقية الى منطقة شيوعية.

حتى اكذوبة الجيش الأخضر كانت في الأصل اكذوبة روسية أشيعت على جبهتنا الشرقية ومن هناك انتقلت هذه الكذبة الى الأناضول حيث ذاعت وانتشرت. كانت أول آثارها أنها أيقظت في (الرأي العام) في الولايات الشرقية (من بلادنا) محبة عظيمة للشيوعية. وكان هذا خطرا عظيما. حتى كاظم قرابكير (هذا القائد العسكري أحد كبار أعوان مصطفى كمال)، صدق هذه الفكرة وآمن بها.

كان يقول أن بالبلشفية سيصبح الروس مسلمين!! وكان مسرورا من هذا!! ووصل الأمر به انه أحدث في جيشه بعض تعديلات في الرتب والنياشين على النمط الروسي البلشفي.

ولما رأى هذا القائد أن الجيش قد بدأ يخرج من طوع يديه أفاق.

مصطفى كمال يؤمن بأن روسيا هي المنقذ والشيوعية هي المثل!!

لكن مصطفى كمال آمن بهذا الفكر (الشيوعي) الخاطىء. وما زال مستمراً في اصراره على هذا كان بهاء المناسترلي في هذه الأثناء في اذربيجان. لكنه انقلب معاديا للشيوعية. حبسه كاظم قرابكير، لهذا السبب.

وقد كانت أسطورة الجيش الأخضر، اكذوبة قصد بها الروس أن تسهل لهم عملية احتلالهم لاذربيجان (المسلمة). كونوا جيشا من المسلمين في روسيا من أتراك وتتار، واشاعوا أن هذا الجيش لا بد له من المرور عبر أراضي آذربيجان ليصل الى الأناضول في تركيا ليساعد الاتراك في تركيا في حربهم ضد المحتلين الاوروبيين. وبذلك استطاع الروس أن يخدعوا أهل اذربيجان و يدخلوا بلادهم. والذي حدث أن هذا الجيش الروسي لم يتجه الى تركيا لمساعدتها في حربها ضد جيوش الاحتلال الاوبرية لها، وانما احتل الروس به اذربيجان. وبذلك تم احتلال الروس لاذربيجان بهذه الطريقة السهلة. وهذه هي كل المسألة. ومع هذا كله فما زال مصطفى كمال يقوم بالدعاية للجيش الأخضر!!

وبينما الأمر على ذلك، اذا بالأنباء تفد من استانبول باستقالة الوزارة (وكانت هذه المرة وزارة فريد باشا) وحلت محلها وزارة علي رضا باشا. وكان طبيعيا أن تسقط وزارة فريد نتيجة عدم الدراية.

يقول مصطفى كمال في خطابه انه لم يكن يريد فريدا. كان يريد وزارة أخرى شريفة. له الحق في هذا. هيا لنرى ماذا سيفعل اذا جاءت وزارة شريفة بالفعل؟ ماذا يجب عليه أن يفعل. هاهو ذا علي رضا باشا قد كون الوزارة.

وانه مجرد الشك في وزارة علي رضا، ليعتبر هذ الشك مخالفة صريحة للوجدان والضمير.

مصطفى كمال لا بد وان يضايق الوزارة، لان المضايقة هي الطريق الطبيعي لارضاء طموحه الشخصي، اما مصلحة الوطن فتأتي عنده في الدرجة الثانية.

لماذا لم يحاول انقاذ إزمير

قامت بالفعل في نواحي إزمير عمليات دفاع وطنية ومناوشات مع العدو، ومصطفى كمال في حد ذاته رجل عسكري، واذا به بدلا من ان يسرع الى إزمير، إذ به يتجه الى الناحية الأخرى .. الى ناحية ارضروم.

وفي سيواس، لا يشغله الا حكومة استانبول والسلطان. واخيرا وصل الى انقرة. فنهبنا نحن بالتالي الى انقرة. اجتمع مجلس الأمة وتكونت حكومة في الأناضول.

أما لماذا لم يعر جبهة إزمير أي اهتمام؟ انه يعترف بهذا لكنه يحمل المسئولية في هذا الى رافت. رأفت سيء، فلماذا لا ترسل أحد غيره؟! واخيرا دخلت القوات اليونانية مغنيسيا كما دخلت بورصة أيضا.

ارتفعت درجة الاضطراب. واقترب الخطر الى انقرة نفسها. وعندما بدأ القيل والقال انتشرت الاشاعات في المجلس بحيث ملأته، اخذ مصطفى كمال بالاهتمام بهذه الجبهة (أي جبهة إزمير).

مصطفى كمال يريد الفتنة ويسعى اليها

وبمجرد أن تسلمت الحكومة الجديدة في استانبول مهام عملها، اخذ مصطفى كمال يبحث عن وسيلة ليتشاجر معها. أعضاء الوزارة في أول لحظاتهم فيها، بل حتى لم يجلس كل منهم على مقعده في الوزارة بعد. واذا بمصطفى كمال يطلب من هذه الوزارة أن تعتقل عديد من الشخصيات! كيف بهذه الوزارة تستطيع القبض على ما طلبهم، وهي تحت قبضة الانكليز الذين يحتلون استانبول؟ بالطبع مستحيل. وهو بنفسه يعرف هذا ويدركه. انما كل همه أن يشعل معهم خناقة.

بعد ذلك يقول لهذه الوزارة الجديدة ان يسلموا له علي كمال ومجموعة اخرى من الذين لا يحبهم هو شخصيا، يريد أن يقدمهم للديوان العالي عن افتتاح المجلس. حسنا جدا ولكن مالزوم التعجيل في هذا؟! لا بد أولا من افتتاح المجلس ثم اعتقل كما تشاء. لم يكن المجلس وقتها قد افتتح. لا، بل ان انتخاباته نفسها لم تكن قد بدأت بعد. يا للعجب!! ثم ان لكل طلب ولكل اقتراح ولكل تخابر رسميا كان أو غير رسمي، عاداته، وادابه، واصوله، وسلوكه.

في حالة حدوث أمر ما سريعا ما يقوم مصطفى كمال بارسال البرقيات الى الصدر الأعظم والى وزير الداخلية في استانبول. (هذا ازعاج) ولا يستطيع احد أن يتحمل كل هذا مهما كانت درجة صبره واحتماله.

ان مصطفى كمال يفعل هذا عن عمد، حتى يحصل وهو يريده.

عندما تطلب استانبول التعاون معه يتهمها بالخيانة

يطلب منه الصدر الأعظم موافاته بقرارات مؤتمري ارضروم وسيواس اللذين عقدهما الوطنيون في الأناضول، اذا بمصطفى كمال يصدر حكمه (الفوري) بأن هذا الوزارة خائنة. يصف طلب هذا بقوله: «انه تدبير شيطاني جديد». من أين أتى بهذا؟ من أين عرفت هذا؟ أتعلم خبايا الصدور؟».

يقول: «أيمكن أن يجهلوا مقررات هذين المؤتمرين؟» هكذا قال. نعم يجهلون ولم لا؟ ومن أين لهم بمعرفتها؟ انهم ما زالوا بعد في طريقهم الى منازلهم متجهين نحو الباب العالي (حيث مقر الوزارة) لاستلام مهام مناصبهم. بدلا من أن تدعي هذا على الوزارة، هيا اسرع بارسال هذه المقررات اليهم. ما هو المحظور في هذا؟! اذا كنت تريد أن تتهم بالجاسوسية اذا ما ارسلت اليهم هذه المقررات أفلم تقل عنهم مستنكرا «أيمكن أن يجهلوا مقررات هذين المؤتمرين؟» يعني حسب قولك انهم يعرفون هذه المقررات.

أنت تقول لهذه الحكومة وفي صيغة الأمر: «إبعدوا الرقابة الأجنبية عن المطبوعات». ان هذا يدخل في باب التكليف بما لا يطاق. كن أنت في موقفهم، فهل تستطيع انقاذ المطبوعات من هذه الرقابة؟! اذا كانت بك قوة لفعل هذا فافعل وهو مالن تستطيعه. ان هذه الحكومة تشكلت والانكليز يحتلون استانبول

المسألة ليست مسألة مطبوعات ولا غيرها، ان المسألة انه يبحث عن سبب للنزاع والمشاجرة. انه سيعتبرهم خونة. يالك من رجل! إن هذا كثيرا ويدخل في باب قلة الأدب.

وبينما الأمر على هذا، اذا بعلي رضا باشا الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) يتصرف تصرفا: ما اجمله وما أعقله! إنه يقبل طلبات مصطفى كمال. إن علي رضا في جوابه المتعلق هذا يبدو وطنيا ومحقا للحق. إنه يرى انه لا بد من حدوث الانتخابات بسرعة. يرى أيضا انه لا بد من ترك مستقبل الأمة لرأي نواب الأمة. واذا بمصطفى كمال يغضب أيضا لهذا الأمر. لماذا يا مصطفى كمال لا تدعك من هذا؟! هذا الرجل (علي رضا باشا) يوافق على كل اساسيات القضية الوطنية ويقبل كل اقتراحاتك! هيا! ضع يدك في يده وتعاونا معا. لماذا لا تكون وانت في الأناضول قوة تظاهرهم.

اخذ مصطفى كمال في التوقيع على كل الرسائل والتخابر الخاصة بالحركة الوطنية وكأنه كل شيء. تسبب هذه المسألة الكثير من النزاعات والاعتراضات الطويلة. الاعتراضات تصل من كل مكان. لكن كل هذه الاعتراضات عنده تساوي صفرا. كل ما تطلبه حكومة استانبول (الشرعية) أن يكون مصطفى كمال عونا لها، والا يتدخل في كل شئونها كبيرة كانت أم صغيرة وكأنه السلطان. والا يأتي باعمال غير مشروعة.

أما مصطفى كمال فيريد أن يكون المرجع العام والخاص في كل الأمور. وأن يتلقى وزراء استانبول الأمر منه.

يعيب مصطفى كمال في خطابه الرسمي، على الصدر الأعظم علي رضا باشا. يقول عنه انه ترك مقدونيا. ولكن يا مصطفى كمال أنت أيضا كنت في الحرب، ثم أنك سلمت سوريا وهي منطقة هائلة، للأعداء. فاذا كانت الأولى عيب، فالثانية عيب. سيما وأنك عندما كنت في اسكيشهر وكان معك عصمت (اينونو) قد تسبب في هزيمة الجيش وكان متفوقا وشجاعا أمام اليونانيين! ثم أنك هممت بالهرب من انقرة وقت اقتراب الخطر منها، وقمت أنا بالسيطرة على مجلس الأمة، ومنعتك من الهرب.

تكدرت الحكومة في استانبول، تكدرا تاما، من الازعاجات التي يقوم بها مصطفى كمال، فارسلت صالح باشا وزير الحربية الى أماسيا في الأناضول للتباحث مع الحركة الوطنية في الأمر. التقى صالح في أماسيا بكل من مصطفى كمال ورؤوف وبكير سامي.

● فتحي: احد زعماء الحركة الوطنية في الأناضول، قال عنه مصطفى أنه رجل يزكي نفسه لرئاسة الوزراء.

